التحولات الثقافية وانعكاساتها على منظومة القيم لدى الشباب

أ.عبدالحكيم علي محمد الورفلي
كلية الآداب بالجميل-جامعة صبراتة

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى محاولة التعرف على بعض التحولات الثقافية التي يشهدها الواقع الراهن وانعكاساتها على القيم لدى الشباب بوصفها تمثل أهم شرائح المجتمع، وكونهم المستهدفين من قبل وسائل الإعلام والغزو الثقافي والانفجار المعرفي وثورة الاتصالات، وكل هذا أدى إلى حدوث أزمة قيمية كان لها أثر كبير في دفع الشباب للتمرد والثورة على قيم المجتمع.

واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي الذي يهتم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بمشكلة البحث، وخلص البحث إلى أن المجتمع الليبي يمر في ظل التحولات الثقافية الراهنة بفترة حرجة تتسم باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية ما انعكس سلباً على منظومة القيم لدى الشباب.

Abstract:

The research aims to try to identify some of the cultural transformations that the current reality is witnessing and their implications for the values of youth as they represent the most important segments of society, and being targeted by the media, cultural conquest, knowledge explosion and communications revolution, All this led to a value crisis that had a great impact in pushing young people to rebel and revolt against the values of society.

In this study, the researcher relied on the descriptive approach, which is concerned with studying the current facts related to the research problem. The research concluded that Libyan society is going through, in light of the current cultural transformations, a critical period characterized by tremor of values and disturbance of social and ethical standards, which negatively affected the value system of young people.

المقدمة:

يمر المجتمع الليبي بمجموعة من التحولات في كثير من النظم الاجتماعية والثقافية وغيرها والتي أترث بشكل مباشر على النسق القيمي. فالقيم تعد محدداً من محددات السلوك الإنساني، ومصدراً للتوجيه السلوكي، حيث تمثل القيمة المحدد الثقافي وراء كل سلوك هادف، والقوة التي تخلق الحافز على الانجاز، ومنطلق فهم كل سلوك، حيث تضفي على السلوك معناه. وهذا يعني أننا لا نستطيع فهم السلوك فهماً شاملاً إلا من خلال إدراك المعاني والقيم والتصورات القيمية التي يتحدد من خلالها هذا السلوك، فضلاً على أن القيم هي المنظم للواقع والغايات المثلى التي يدين لها أفراد المجتمع بالولاء، حيث تحدد لهم ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه اجتماعياً [1].

إن أي تنظيم اجتماعي في حاجة شديدة وماسة إلى نسق أو نظام للقيم يشابه تلك الأنساق أو النظم القيمية الموجودة لدى الأفراد فيضمنه أهدافه ومثلهُ العليا التي عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته فإذا ما تضاربت القيم أو لم تتضح فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي الاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيار.

وإن من أهم فئات المجتمع التي هي بحاجة ماسة إلي تنمية القيم هي فئة الشباب كونهم المستهدفين من قبل وسائل الإعلام والغزو الثقافي والانفجار المعرفي وثورة الاتصالات التي تستهوى شريحة كبيرة من فئة الشباب في محاولة لإبدال ما لديهم من قيم ورثوها من دينهم وثقافتهم بقيم بديلة من المجتمعات المتقدمة مادياً وبقيم الاستهلاك الوافدة والثقافات المعاصرة، والشباب بطبيعتهم لديهم الميول إلى الثورة على كل ما هو قديم ومحب للمغامرة والإثارة والاكتشاف[2].

ومن هنا يتبين أن القيم ومعاييرها هي التي تمثل جوهر الإنسان الحقيقي. فبالقيم يصير الإنسان إنساناً وبدونها يفقد إنسانيته ويرد أسفل سافلين، ويصبح كائناً حيوانياً بهيمياً تسيطر عليه الأهواء وتقوده الشهوات فينحط إلى مرتبة يفقد فيها عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله تعالى لهُ.

مشكلة البحث:

شهد المجتمع الليبي في السنوات الأخيرة تحولات عميقة وواسعة النطاق في مختلف المجالات، وتعد التحولات الثقافية إحدى أشكال هذه التحولات، وتمثل القيم جانباً رئيسياً من ثقافة أي مجتمع؛ بل يمكن القول إنها تمثل لب الثقافة وجوهرها، فهي الضابط والمعيار الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، وإن من أهم فئات المجتمع بحاجة ماسة إلى تنمية القيم هي فئة الشباب كونهم أكثر فئات المجتمع حركة ونشاطاً، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى المسؤولية المشتركة في تعميق القيم وتنميتها لديهم.

ونتيجة للتحولات الثقافية المتسارعة وما صاحبها من تدفق المعلومات في كثير من وسائل الإعلام والاتصالات، انعكست جميعها على إيجاد مناخ من التحولات السريعة التي جعلت الشباب يلهثون في مضمار هذا التحول، حيث أدت هذه التحولات المجتمعية إلى عدم مقدرة الشباب على التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ، وبالتالي أضعفت قدرتهم على الانتقاء والاختيار، مما أدى إلى حدوث "أزمة قيمية" كان لها أثر كبير في دفع الشباب للتمرد والثورة على قيم المجتمع.

تساؤلات البحث:

1- ما القيم ؟وما أهميتها؟ وما هي الوسائل الممكنة لتنميتها والمحافظة عليها؟

2- ما طبيعة مرحلة الشباب؟ وما خصائصها. وما أهمية هذه المرحلة بالنسبة للمجتمع؟

3- ما انعكاسات التحولات الثقافية على منظومة القيم لدى الشباب؟

أهداف البحث:

1- التعرف على القيم وأهميتها، والوسائل الممكنة لتنميتها والمحافظة عليها.

2- التعرف على طبيعة مرحلة الشباب وخصائصها، وأهمية هذه المرحلة بالنسبة للمجتمع.

3- محاولة الوقوف على التحولات الثقافية التي يشهدها الواقع الراهن وانعكاساتها على الشباب بوصفها تمثل أهم شرائح المجتمع.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لتحقيق الهدف، والذي يهتم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بمشكلة البحث.

أولاً-القيم: المفهوم، والخصائص والأهمية:

1- مفهوم القيم:

القيم في اللغة جمع لكلمة قيمة، وأن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمه أي: ما لهُ ثبات ودوام على الأمر[3].وهي كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو أخلاقية تتسم بسمه اجتماعية في الاستخدام، ومجموعة القيم التي يعتنقها الفرد صفات مكتسبة تحركه نحو العمل وتدفعه إلى السلوك بطريقة خاصة وتؤثر في تصرفاته؛ فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه [4].

ومفهوم القيم اصطلاحاً يشير إلى أنها مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً، وتشكل لدية منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو بالقبح، وبالقبول أو بالرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز. والقيم هي الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب عنه من السلوك، وهي المثاليات التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان[5].

والقيم هي مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلاً لغيرها، وتنشأ هذه الموجهات من تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وتفصح عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة[6].

القيم عبارة عن اختيار يقوم به الإنسان في ميادين الحياة التي تضم اتجاهاته الأساسية وميوله العميقة والأشياء التي تحظى عنده بالاحترام والتقديس. إن عملية الاختيار لا تتم من فراغ، وإنما يقوم الفرد بهذه العملية متأثراً بالأساس الثقافي للمجتمع الذي يتفاعل معه، وما يتضمنه هذا الوسط من نظم، وتقاليد وعادات اجتماعية، وأنماط سلوكية، ثم الموافقة عليها في سياق تاريخ الجماعة، حتى تصبحَ جزءاً من التراث الثقافي والحضاري [7].

وتبعاً لذلك فإن القيم لا تعبر عن مجرد شيء مرغوب، ولكنها تتضمن تصوراً لما هو مرغوب، فهي لا تتعامل مع ما هو قائم وإنما تبحث عما يجب أن يكون اجتماعياً وثقافياً. فهي موجهات للسلوك في ضوئها يتم الاختيار والتفضيل بين البدائل الوسيلية أو الغائية في المواقف الاجتماعية المختلفة، حيث تشترك القيم في كافة أنماط التفاعل، بل إنها ضمان استمرارية التفاعل بين أفراد وجماعات المجتمع؛ لأنها توفر قدراً من التوقعات التي يتفقون على أساسها ويخضعون تصرفاتهم لها، والقيم في ضوء ذلك بمثابة الموجهات التي تميز بين ما هو ممنوع وما هو مرغوب [8].

2- تصنيف القيم:

لا يوجد تصنيف موحد يعتمد عليه في تحديد أنواع القيم، فهناك العديد من التصنيفات التي وضعها الباحثون في هذا المجال بناء على معايير مختلفة، وفي هذا الصدد سنكتفي بالمعيار الأول؛ وهو معيار محتوى القيمة، ويفترض هذا التصنيف أن الناس يهتدون أساساً بواحدة أو أكثر من القيم الست الشهيرة الآتية:

1- قيم دينية: وهي الاهتمام بالمعتقدات والقضايا الروحية والدينية والغيبية والبحث عن حقائق الوجود وأسرار الكون.

2- قيم نظرية: تعتني بالاهتمام بالمعرفة وباكتشاف الحقيقة والسعي للتعرف على القوانين وحقائق الأشياء.

3- قيم اقتصادية: وتركز على الاهتمام بالمنفعة الاقتصادية والمالية والسعي إلى المال والثروة والإنتاج والاستثمار.

4- قيم جمالية: وتعبر عن الاهتمام بالجمال وبالشكل وبالتناسق وهي تخص الشخص ذا الاهتمامات الفنية والجمالية.

5- قيم اجتماعية: وتركز على الاهتمام بالإنسان ومحبه الناس ومساعدتهم وخدمتهم والنظرة إليهم نظرة ايجابية وتمثل نمط الفرد الاجتماعي.

6- قيم سياسية: وهي عناية الفرد بالقوة والسلطة والتحكم في الأشياء أو الأشخاص والسيطرة عليهم[9].

3-خصائص القيم:

للقيم خصائص متعددة يمكن إيجازها في ما يلي[10]:

1- إن القيم إنسانية؛ فالاهتمام واللذة والألم والأفكار جميعاً ترتبط بالفرد الإنسان.

2- القيم ذاتية؛ أي يشعر كل فرد منا بالقيم على نحو خاص به.

3- القيم نسبية؛ بمعنى أنها تختلف من شخص إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومن مكان إلى مكان ومن ثقافة لأخرى.

4- تتسم القيم بالترتيب الهرمي؛ إذ تهيمن بعض القيم على غيرها داخل سلم الأهمية عند الفرد، وتكون القيمة العليا في العادة هي بؤرة سلوكه وتصرفاته، وهي لا تبقى جامدة وثابتة؛ بل تتغير وتتبدل بحسب ظروف الفرد ومتطلبات الواقع الذي يعيشه.

5- أنها مكتسبة من الجماعة المرجعية في سياق عملية التنشئة الاجتماعية، ومن ثم لا يولد الفرد مزوداً بها، وإنما يتعلمها.

6- أنها تعد شيئاً أساسياً في حياة كل إنسان سوي؛ إذ يتعين عليه أنْ يعتنق عدداً من القيم ينسجم مع نظرته للحياة، ويبغي من ورائها صالح الجماعة وصالحه الشخصي، أما الإنسان غير السوي فإننا نجد قيمه متغيرة غير ثابتة، ومن ثم فإن هذا الفرد ينبغي إرشاده وتوجيهه.

7- تتسم القيم بأنها موجهات للحياة الاجتماعية، فهي مرتبطة بالأفكار والمبادئ والاتجاهات المقبولة في المجتمع، ومن ثم فهي توضح الطرق والوسائل المختلفة التي يجب أن يسلك في ضوئها الإنسان حتى يحقق أهدافه.

4-أهمية القيم في المجتمع:

تتضح أهمية القيم للمجتمع في النقاط التالية[11]:

1- تقوم القيم بدور أساسي في توحيد ميول وطاقات المجتمعات والأمم، إذ أنها المصدر والموجه والقانون والمعيار والضابط المنظم للأفكار ومشاعر وجهود وطاقات وموارد الأفراد والمجتمعات والأمم.

2- تحفظ للمجتمع تماسكه وقوته، كما تحدد له أهدافه ومثله العليا، ومبادئه الثابتة التي تضمن انتظام حياة الأفراد والمجتمعات في سلام وأمان.

3- تعمل القيم على ضبط وترشيد الثقافة والفكر وتوظفها في خدمة غايات وأهداف المجتمع.

4- تلعب القيم الدور الأساسي في تنمية المجتمع خاصة عندما يتبع المجتمع منظومة قيمية عالية الجودة.

5- أثبتت أحداث التاريخ أن لكل أمة ثلاثة مصادر أساسية تحفظ لها قوتها ونقاؤها وقدرتها على الاستمرار وأول هذه المصادر: منظومة القيم التي تتبناها وتعيش بها ولها، ومقدار تمسك أهلها بها والتي تحمي البنيان الاجتماعي للأمة. ثم قدرتها العلمية والاقتصادية، وأخيراً قدرتها العسكرية.

6- تحفظ للمجتمع بقائه واستمراريته.

7- القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه.

8- تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقيات الفاسدة.

5- وسائل تنمية القيم والمحافظة عليها:

القيم معايير مكتسبة يكتسبها الفرد من المجتمع ولها وسائل لغرسها وتنميتها في سلوك الفرد ومن تلك الوسائل:

1- تقوية الإيمان بالله عز وجل:

فالإيمان هو المحرك لكل خير في نفس الإنسان وهو الوازع الداخلي الذي يجعل الفرد يمتثل الكثير من القيم الاجتماعية النبيلة والأخلاق الفاضلة، فكلما قوى الإيمان بالله في نفس الفرد كلما كان محملاً بالقيم النبيلة التي تجعلهُ يتفاعل مع مجتمعه التفاعل الايجابي الذي يدفعه للخير ويبعده عن الشر احتساباً للأجر، وفي المقابل إذا ضعف الإيمان وسيطرت الشهوة المادية والمصلحة الشخصية، فإن القيم تبدأ في التأخر والاضمحلال، وإن وجدت فغالباً ما يكون المقصد منها مصلحة وقتية سرعان ما تزول بزوال تلك المصلحة.

2- تنمية روح الأُخوة الدينية والترابط المجتمعي:

فالناشئ إذا ما ربى على أخوة الدين وروابط المجتمع فإنه سيجد نفسه متفاعلاً مع المجتمع تفاعلاً ايجابياً يفرح لفرحه ويحزن لألمه ويبذل قصارى جهده لإسعاد أفراد ذلك المجتمع. فإذا ما نمت تلك الغريزة واستثمرت وطورت في نفس الناشئ فإنه سيكون عند الكبر عنصراً متمثلاً لقيم المجتمع محافظاً على تعاليمه وآدابه التي يرى أنها تحفظ لكل فرد حقوقه واحترامه، ولا يمكن أن يلحق الأذى بمن حوله، بل يسارع في إسعادهم ومد يد العون لهم.

3- تماسك المجتمع وترابطه:

فالمجتمع المتماسك المترابط يعد بيئة صحية مناسبة لغرس القيم وتنميتها، بخلاف المجتمع الذي يعاني من التفكك والتخلخل، فالعلاقة بين الفرد والمجتمع تبادلية عكسية يتأثر الفرد بالمجتمع ويتأثر المجتمع بالفرد، والفرد إذا ما عاش في مجتمع متماسك كان هذا أكبر عون بعد توفيق الله عز وجل على الالتزام بالقيم لأنه يرى المجتمع قد تعود أفراده على هذه الأمور وأصبح مجمعاً عليها لا يخالفها إلا الشاذ من الأفراد غير المفضلين لدى المجتمع.

4- وجود البيئة الأسرية السليمة:

للأسرة دور بارز حينما تكون قائمة على أساس سليم من الاستقرار، تلك الأسرة التي يتغذى فيها الناشئ منذ نعومة أظفاره على المحبة والخير والتعاون والسلام فتكون أساساً لتعامله عند الكبر على ما تربى ونشأ عليه، وكما أن للمجتمع المتماسك الدور البارز في فرض الإلزام بالتمسك بالقيم والمحاسبة والعقاب على تركها فكذلك للأسرة نفس الدور أو أعظم كونها المنطلق للفرد، فهي التي تغرس الانتماء للمجتمع والحرص على ممتلكاته والالتزام بقيمه.

5- وجود القدوة الايجابية وتوفرها:

من المعلوم أن الفرد يتأثر بوجود قدوات صالحة يرى فيها الامتثال والتطبيق العملي، ويرى فائدة الامتثال للقيم وتمثلها في تقبل المجتمع لهم ومحبة الناس لتلك القدوات.

ويحتاج الفرد حتى يمتثل القيم أن يرى قدوة واقعية حتى يمتلك القوة والحماس لتمثلها وإلا فكيف نطالبه بامتثال معايير وتفضيلات لا يرى لها على ارض الواقع تطبيقاً عملياً.

6- العمل الجماعي ونبذ الفردية:

العمل الجماعي ينبغي أن يتطور مع الفرد ويبقى معه طيلة عمره، فالعمل الجماعي أقرب للصواب وأبعد عن الخطأ لاجتماع الآراء عليه، بينما تكثر الأخطاء في الاجتهادات الفردية وغالباً ما تفشل، فينبغي تربية النشء والشباب على العمل الجماعي وتنمية روح الفريق الواحد الذي يمتثل قيماً موحدة ويمتلك خططاً موحدة تجعله بإذن الله قادراً على مواجهة ما يصادفه من مشكلات ونحن في زمن التحالفات السياسية والاقتصادية، فكيف نريد تقدم المجتمع وهو يغلب فيه المصالح الشخصية والاجتهادات الفردية[12].

ثانياً-الشباب المفهوم، والخصائص والأهمية :

1-مفهوم الشباب:

الشباب في اللغة: جمع شاب، وكذلك الشبان. والشباب أيضاً: الحداثة، وكذلك الشبيبة وهو خلاف الشيب. تقول شب الغلام يشبُّ شباباً وشبيبة [13].وفي لسان العرب: الشباب الفتاء والحداثة، فالشباب لغةً يعني النشاط والقوة والسرعة [14].

أما في الاصطلاح فقد تعددت الآراء واختلفت حول المفهوم الجامع للشباب، بسبب تعدد وتنوع الظروف المحيطة بهذه الفئة العمرية، حيث نجد من الباحثين من يحدد هذا المفهوم امتداداً للزاوية الزمنية أو البعد الديموغرافي، ومنهم من يعتمد على النواحي النفسية، وكنتيجة لهذا الاختلاف حول حدود المفهوم ظهر أكثر من اتجاه في التعامل معه وكان ذلك على النحو التالي:

1- الاتجاه الزمني الديموغرافي: وهو الذي يعتبر الشباب مرحلة عمرية تتراوح ما بين(15-30)عاماً، وهي المرحلة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل المرء قادراً على أداء وظائفه المختلفة.

2- الاتجاه البيولوجي: ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلي تحديد مرحلة الشباب على أساس اكتمال نمو البناء العضوي والوظيفي للمكونات الأساسية لجسم الإنسان، سواءاً كانت عضوية داخلية أو خارجية[15].

3- الاتجاه النفسي: يرى أنصار هذا الاتجاه أن الشباب ليس مرحلة عمرية تتحدد بسن معينة، وإنما حالة نفسية لا علاقة لها بالعمر الزمني، وإن بداية مرحلة الشباب ونهايتها مرتبطتان بمدى اكتمال البناء الدافعي. وامتلاك الشخص للبناء الدافعي هذا، يتم عن طريق مؤسسات التنشئة المختلفة التي تمكنه من استيعاب التوجيهات القيمية الموجودة في النسيج الاجتماعي، وهذا ما يمكنه من التفاعل السوي في مجتمعه.

4- الاتجاه الاجتماعي: وهو الذي يرى أن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص الذي يمثل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنائه، وتنتهي عندما يتمكن الشخص من احتلال مكانته ودوره في السياق الاجتماعي[16].

يتضح من خلال ما سبق أنه بالرغم من أهمية الشباب على أكثر من صعيد والاهتمام بهم كظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية، إلا أن هناك صعوبة في تحديد مفهوم الشباب، أو بالأحرى غياب الاتفاق حول تعريف الشباب، وربما يتضح مفهوم الشباب أكثر من خلال التعرف على خصائصهم.

2- سمات وخصائص مرحلة الشباب:

1- الاهتمام بالمظهر: حيث يهتم الشباب في هذه المرحلة بمظهره وشعبيته، وميله للجنس الآخر واتساع علاقاته الاجتماعية.

2- الرهافة: والتي تعني شدة حساسية الشباب الانفعالية المختلفة، وذلك نتيجة للتغيرات الجسمية السريعة التي يمر بها في أول هذه المرحلة.

3- الكآبة: يشعر الشباب في تلك الفترة بالكآبة والانطواء والحيرة، محاولاً بذلك انفعالاته ومشاعره من المحيطين به حتى لا يثير تقدمهم ولومهم.

4- التهور والانطلاق: حيث يندفع الشباب وراء انفعالاته بسلوكيات شديدة التهور والسرعة، وقد يلوم نفسه بعد أدائها، وتبدو علامة من علامات ساذجة في المواقف الصبية، التي لم يألفها من قبل، وأيضاً صورة من صور تخفيف شدة المواقف المحيطة به، ووسيلة لتهدئه التوتر النفسي في مثل هذه المواقف الغريبة، ولا يستطيع التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية.

5- الحدة والعنف: حيث يثور لأتفه الأسباب، ويلجأ لاستخدام العنف، ولا يستطيع التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية.

6- التقلب والتذبذب: ويلاحظ ذلك حين يقع الشباب في موقف اختيار نجدهُ في مدة قصيرة يتقلب في انفعالاته، ويتذبذب في قراراته الانفعالية بين الغضب والاستسلام، وبين السخط والرضا، وبين الإيثار والأنانية، وبين المثالية والواقع، وهي كلها مظاهر قلقه وعدم استقراره النفسي [17].

3-الأهمية الاجتماعية للشباب:

لا تختلف التخصصات في دراستها لموضوع الشباب على الأهمية البالغة التي تحظى بها هذه الفئة الاجتماعية والمرحلة العمرية في أي نظام اجتماعي، الشيء الذي يجعلها مثار اهتمام الساسة والاقتصاديين والاجتماعيين والنفسيين لتتجلى ملامح هذه الأهمية في الآتي:

1- يعتبر الشباب في أي مجتمع إنساني الفئة العمرية التي تتميز بمستوى عال من الحيوية والنشاط لما تتميز به من خواص دينامية منفردة.

2- ترجع أهمية الشباب اجتماعياً إلي كونهم أكثر فئة اجتماعية رغبة في التجديد والمبادرة، لذا هناك من يعتبرها أساس ومنطلق التغيير والتجديد في المجتمع مع الأخذ بعين الاعتبار كيفية استيعاب هذه الرغبة من قبل النظام الاجتماعي بعيداً عن التناقض والصراع الحاد والسلبي.

3- يرى الباحثون والمهتمون بدراسة الثقافة أن أي محاولة لبناء هيكل ثقافي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أهداف الشباب واحتياجاتهم وآليات توجهاتهم المستقبلية وهذا يدعم المشاركة الشبابية في صناعة الحياة العامة، وإذا لم يستوعب المجتمع هذه الحركات وفق أطر مضبوطة تحدد مسارات إيجابية للشباب في عملية التغير الاجتماعي فإن النتيجة الحتمية هي حدوث انهيار في التكامل الاجتماعي وتفكك المجتمع.

4- تتضح أهمية الشباب كذلك من خلال تعزيز عملية وآلية الاندماج في النظم الاجتماعية القائمة والموجودة في المجتمع لدعم واستغلال طاقاتهم في تحديد وتغيير هذه النظم دون حدوث انهيارات أو اختلالات ممكنة الحدوث.

5- لم يعد ينظر إلي الشباب اليوم على اعتبار أنه صانع للمستقبل فحسب، بل أصبحت النظرة إليه على أساس انه فاعل اجتماعي ومؤثر في صناعة الحاضر حتى وإن تراوحت تقييمات ذلك التأثير سلباً أو إيجاباً[18].

ثالثاً-التعريف بالتحولات المجتمعية وانعكاساتها على القيم:

1- في مدلول التحول والمفاهيم المرتبطة به:

يحفل التراث السوسيولوجي بالكثير من التعاريف التي ترتبط بمفهوم التحولات المجتمعية بوصفها تلك التغيرات الواسعة والكبيرة في البني الاجتماعية والتي تحدث أثراً في نظم المجتمع وتؤثر في العلاقات بين الأفراد. فالتحول لغةً هو التغير والتبدل، فتغير الشيء هو التحول عن حالته، تحول وغير الشيء: حوله وبدله[19]، ويعرف التحول بأنه :" كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية، وهو كل تغيير في التركيبة السكانية للمجتمع، أو البناء الطبقي، أو النظم الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر على

سلوك الأفراد وتحدد بشكل أو بآخر مكانتهم وأدوارهم في مختلف المؤسسات الاجتماعية التي ينتمون إليها [20].

والتحول من ثوابت الحياة، وهو ظاهرة اجتماعية ملازمة للمجتمعات البشرية منذ القدم حيث يقول ابن خلدون في مقدمته عن التحول:"... من الغلط الحقيقي في التاريخ الذهول من تبدل الأحوال الذي هو داء شديد الخفاء، لا يكاد يفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة، ذلك أن أحوال العالم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف الأيام والأزمنة والانتقال من حال إلى حال...[21].

ويعد التحول من المفاهيم التي لها تداخل مع العديد من المصطلحات، نذكر منها: التغير، فالتحول يختلف عن التغير، كون الأول–التحول يتميز بالشمولية والعمومية والجذرية، أما الثاني– التغير– فهو جزئي محدود النطاق.

أما مفهوم **تحول القيم**، فقد استخدمه البعض على نطاق ضيق ليقتصر على بعض التحولات في العادات والتقاليد والتغيرات المتتابعة والسريعة في الطرائق الشعبية، وقد يتسع لدى البعض ليشمل كافة التحولات السريعة في القيم الثقافية للمجتمع، ويحدث التغير القيمي عادة عندما يتعرض المجتمع إلى تغيرات اجتماعية أو اقتصادية أو تكنولوجية أو أحداث معينة، تفرض على أفراد المجتمع اكتساب قيم جديدة ونبذ قيم قديمة، أو عندما يعاد توزيع القيم حيث كانت القيمة في المنزلة الأولى ولكنها تتحول إلى منزلة أقل مما كانت عليه وذلك خضوعاً للظرف والموقف[22].

ويقصد بتغير **نسق القيم**، التغير في الأوزان النسبية لقيم الفرد والأبعاد التي تنظم حولها هذه القيم، فالقيم عند تغيرها تصبح أقل أو أكثر توجيهاً للسلوك، وبالتالي كلما زادت أهمية القيمة كلما أرتفع تأثيرها على الفعل. ويفرق الباحثون بين عملية اكتساب القيم وبين عملية تغيرها فالأولى: تعني انضمام قيم جديدة إلى نسق القيم والتخلي أو التنازل عن قيم أخرى، أما الثانية: فيقصد بها تغير وضع القيمة على هذا المتصل (التبني– التخلي) داخل النسق القيمي، إلا أنه يجب أن نأخذ في الاعتبار أن هاتين العمليتين غير منفصلتين تماماً ومن الصعب الفصل بينهما[23].

ويقصد **بالتحول الثقافي:** مجموع التغيرات المتتالية التي تمس الحياة الثقافية لمجتمع ما في فترة محددة، وتتعلق عملية التحول الثقافي بمختلف المظاهر والممارسات والسلوك الثقافي لمجتمع ما، ويتم ذلك بفعل مؤثرات داخلية وأخرى خارجية يفقد بموجبها المجتمع مظاهر ثقافية ليتحول عنها لحساب مظاهر أخرى، وترتبط مظاهر التحول في المجالات الأخرى، فتنشأ بذلك الثقافات الجديدة التي تنافس الثقافة السائدة، وتمثل تهديداً حقيقياً لها حتى تزيح بعض أشكال الممارسات فيها وتحولها لترسخ وجودها بين أفراد المجتمع وتؤصل قواعدها، فيتم التحول الثقافي في بعض جوانب الحياة الثقافية[24].

2- الشباب في عمق التحول:

تجمع العديد من المساهمات الفكرية في ميادين العلوم الإنسانية على كون الشباب قوة تنمية وتغيير وبناء لمستقبل المجتمعات ورفاهيتها، كما أن كل المهتمين بتطور المجتمعات من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يجزمون على أن الشباب هو صمام الأمان لحفظ هوية المجتمعات والدفاع عن جوهرها وضمان استقرارها واستمراريتها. لكن المتتبع لأوضاع دول العالم الثالث، ومن ضمنها المجتمع الليبي، يلاحظ أن طابع الشاب في العقود الأخيرة بات يشكل عبئاً على الدولة والمجتمع عوض أن يشكل قوة بناء، ومجالاً لانتعاش الظواهر السلبية، هذا التحول في وضعية الشباب حمل معه تعبيرات ثقافية متمايزة يعكس وعي الشباب وارتباطه بقضايا المجتمع الأساسية ودورة في التغيير، ذلك أن المجتمعات" عندما تعي بوجودها الإشكالي وبالصعوبات التي تعترض سعيها إلى الاستمرارية أي إعادة إنتاج نفسها، فإنها تعيد النظر في نسق التنشئة، وتطرح الأسئلة على شبابها وعما هي فاعلة به، وتتقبل في نفس الوقت الأسئلة التي تطرحها الأجيال الصاعدة التي ترفض ما يقدم لها وتستعد لأخذ مكانها في الوقت المناسب، إن مجرد النقد البسيط بين المراحل العمرية يتحول إلى نقذ موسع للمجتمع، وإن التفكير في الشباب يعني التفكير في كل شيء: المدرسة، العمل، السياسة... إن الشباب بالقدر الذي يخيف فهو يبهر أيضاً[25].

3- التحولات الثقافية وانعكاساتها على القيم لدى الشباب:

إن التساند الوظيفي قائم على الترابط القيمي، فالقيم تعبر عن حاجات ورغبات أفراد المجتمع. إلا أن القيم ترتب ترتيباً هرمياً بحسب أهميتها، وهذا يعني أن القيم تتأثر بالتحولات المجتمعية المختلفة سواء أكانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية وتكنولوجية أو سياسية، إذ هي قابلة للتغير والتطور، حيث تظهر معايير تقلل من قيمة ما تجعلها في القاع، كما إن التغير في منظومة القيم لا يحدث بالمقدار نفسه والسرعة نفسها مما يحدث اختلال في القيم والمعايير، فعندما تضعف روابط المجتمع وقيمه يكون هناك حيز بسيط للإحساس الداخلي بالمسؤولية تجاه الآخرين، كما تفقد القيم دورها الضابط في توجيه وتنظيم السلوك الأمر الذي يفسح المجال لظهور قيم سلبية تدفع بالشباب إلي القيام بأعمال غير مرغوبة تتمثل في القتل والابتزاز والسرقة والعنف، وتدمير الممتلكات العامة، وعدم تقبل وجهات النظر المختلفة، وعدم الاعتراف بحقوق الآخرين وغيرها من الأعمال الغير مرغوبة فتصبح قوة مدمرة للمجتمع بشكل عام ما لم توجه بشكل صحيح[26].

إن مطلع الألفية الثالثة يتسم بتسارع التحولات وعمقها وشموليتها، حيث أدت هذه التغيرات إلي عدم مقدرة الشباب على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، وبين الممنوع والمرغوب، والمجتمع الليبي كغيره من المجتمعات يمر بمجموعة من التحولات والتي كان لها تأثير كبير على قيم المجتمع وخاصاً على الشباب.

إن الانفتاح الإعلامي وثورة الاتصالات مع أنها نعمة عظيمة فتحت للإنسان أبواب العلم والمعرفة وسهلت له الحصول على المعلومات وتبادل الخبرات إلا أنه وبسبب سوء الاستخدام وانعدام الموجه الناصح والتوعية السليمة صاحب ذلك أعراض جانبية لأمراض خطيرة وأخطار فادحة تهدد كيان الفرد والمجتمع تتمثل في زعزعة القيم الإسلامية النبيلة لتحل محلها قيم الدول المتقدمة بما تحويه من انحرافات سلوكيه ونظرة نفعية ذاتيه[27].

إن وسائل الإعلام يمكن أن تساهم في خلق ثقافة بديلة أو ثقافة مضادة لدى الشباب تجعلهم يثورون ويتمردون على ما هو قائم من علاقات اجتماعية وقيم ومعايير اجتماعية خاصة وأن الشباب معروف عنهم أنهم في جميع المجتمعات يميلون إلى تطوير نسق ثقافي خاص بهم عبر عنة مفهوم

ثقافة الشباب، أي تلك العناصر الثقافية التي انبثقت تاريخياً والتي تعبر في المحل الأول عن مصالح الشباب واحتياجاتهم ورغبتهم في التغيير والتجديد ورفض كل ما هو تقليدي[28].

والمتابع للبرامج التي تبثها الإذاعات العربية منها والمحلية يلاحظ بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية، وتغلغل قيم الرأسمالية في المؤسسات الوطنية ذات الصلة بالثقافة كالمناهج في المدارس، والجامعات، ومراكز البحوث، بالإضافة لما تقدمة المؤسسات من منح وموارد إعلامية وبحوث تجرى عن طريق المؤسسات الرأسمالية، كلها تصب في إطار ترسيخ تفوق الغرب، وها هو التلفزيون يلعب دوراً كبيراً في بث قيم تسخر من الزواج والارتباط الرسمي، وهذا يعد دعوة للتمرد والانقياد وراء الشهوات والنزوات، كما يشاهد الشباب المسلسلات الأجنبية على شاشات التلفزيون العربي، تلك المسلسلات المليئة بالقيم السلبية، ومن أبرز هذه القيم: الفردية والقسوة والعنف والتعصب والعدوانية والخيانة والسرقة والخداع، وأن هذه المسلسلات وبخاصة الأمريكية منها تروج باستمرار للجوانب الانحلالية كإقامة علاقات جنسية غير مشروعة بين شباب الجنسين، كما أن معظم الموضوعات المقدمة في تلك المسلسلات لا تناسب القيم والمبادئ العربية وخطط التنمية ومستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الدول العربية[29].

كما تحول الانترنت إلي أداة للتأثير على الشباب وخاصة بعد ظهور تقنية الفيسبوك الذي لعب دوراً كبيراً في التأثير على قيم الشباب وسلوكياته ومظهره الخارجي ومستواه الدراسي، وتوافقه الأسري والاجتماعي، ونظراً لأن الفيسبوك هو الوسيلة الأقوى والأعم في التأثير على فئة الشباب لما يملكه من عوامل فقد حاول الشباب أنفسهم التفاعل والتأقلم مع هذا الواقع بكل ما يستطيعون من أدوات. إلا أنها قد تتصادم مع القيم والثوابت والتي تحظى بعناية الشباب ومع ذلك فإن الإقبال على استخدام الفيسبوك كان كبيراً وسريعاً حتى أنه قل أن تجد شخص لا يستعمله فعدد الساعات التي يقضيها الشباب في التحدث والتواصل كثيراً واستمراره في أغلب الأحيان، فضلاً عن الاستعداد لتقبل ما يعرض من معلومات ومعارف جديدة، بالإضافة إلى انتشار المواقع الإباحية، ومما لاشك فيه أن التعرض لمثل هذه المواقع والتشهير بالآخرين عن طريق وضع صورهم وعناوينهم وأرقام هواتفهم في مواقع سيئة سيؤدى إلى مشكلات خطيرة في المجتمع مثل تدمير القيم والأخلاق[30].

لقد تزايد انتشار بعض أنماط القيم الثقافية والسلوكيات الغربية بين الشباب خاصة المرتبطة بالفن والملبس والمأكل، وانتشار عادات وتقاليد غير موائمة للنظم الاجتماعية السائدة في مجتمعنا المسلم ودخول أنماط ثقافية لدى الشباب كالاحتفال بأعياد الحب ورأس السنة، وأعياد الميلاد، والانبهار بثقافة المجتمعات الغربية وبعاداتها وتقاليدها وسلوكياتها وتقليد كل ما هو غربي بغض النظر عن تماشيه مع إيديولوجية المجتمع الذي يعيشون فيه، الأمر الذي أدى إلى تغلغل الثقافة الغربية في ثقافتنا العربية والإسلامية[31]،كما أدى ذلك إلى تفاقم الشعور بالاغتراب لدى الشباب، ووقوعهم في أزمة حضارية وفي صراع، لأنهم يحيون ويعيشون بين ثقافتين متعارضتين في وقت واحد، أحدهما خارج النفس والأخرى مدسوسة في ثناياها، فترى حضارة العصر في البيوت والشوارع، بينما نجد حضارة الماضي رابطة خلف الضلوع لدرجة أن هولاء الشباب من حدة تعلقهم بالحضارات الغربية والحلم بالعيش في محيطها صاروا يعانون حالة من الاغتراب الثقافي، فهم وإن كانوا يعيشون في مجتمعهم إلا أن عقولهم مهاجرة مغتربة قيمياً وفكرياً[32].

إذن فهذه المتغيرات المجتمعية أوجدت واقعاً اجتماعياً جديداً لهُ معاييره وقيمة الجديدة التي اعتنقها كثير من شبابنا، بل والتخلص من بعض قيمنا الاجتماعية باعتبارها قيداً على حركته في الحياة، الأمر الذي جعل هذا الوضع يسبب ما يمكن أن نطلق عليه أزمة قيميه والتي هي نوع من الصراع بين قيمنا الأصلية وبين القيم الجديدة التي صاحبت التغيرات المستحدثة، وبالتالي فقد الشباب الثقة بالنفس وترسخت لديهم قيم السلبية والقلق، وحاول الشباب التعبير عما يعانيه من أزمة بأي شكل من الأشكال. فقد تكون في شكل عنف وتمرد، أو تخريب أو انغلاق على الذات، أو الوقوع فريسة لمشاعر الذنب والانسحاب من الواقع.

رابعاً- النتائج والتوصيات:

1-النتائج:

1- يمر مجتمعنا الليبي في ظل التحولات المجتمعية الراهنة بفترة حرجة تتسم باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية. مما انعكس سلباً على منظومة القيم لدى الشباب.

2- إن للقيم أهمية بالغة بالنسبة للمجتمع، فهي من أبرز العوامل المؤثرة في ترابط المجتمع وتماسكه وتوحيده، بحيث تشكل ركناً أساسياً في تكوين العلاقات البشرية في المجتمع.

3- إن للقيم دوراً بارزاً في توحيد الصف واجتماع الكلمة والرقي بالمجتمع والنهضة والتقدم الحضاري.

4- ضرورة توجيه الشباب وإرشادهم وغرس قيم أصيلة وتنميتها بحيث تكون درعاً واقياً لهم على تخطي تلك العقبات ليتمكنوا من اجتياز هذه المرحلة بأمن وسلام.

5- تحسيس الشباب بأدوارهم التنموية والتعامل مع ذواتهم بإيجابية، بدلاً من التعامل معهم بالسلبية.

6- إن البيئة الاجتماعية هي التي تضبط سلوك الشباب في التفاعلات اليومية، وتجعلهم يتفاعلون وفق الثقافة والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع، وإن سلوكيات الشباب تخضع للضبط الاجتماعي الذي تفرضه مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة.

2- التوصيات:

1- إقامة المؤتمرات والندوات العلمية بهدف التوعية بأهمية القيم وما يعانيه الشباب من اضطراب في القيم، وتوثيق الصلات لعلاج الخلل في المنظومة القيمية.

2- تنظيم ندوات يشرف عليها المثقفون ورجال الدين للحد من السلوكيات المشينة، وتوجيه الشباب نحو القيم الإيجابية وحمايتهم من القيم السلبية.

3- وضع الخطط المستقبلية لاستيعاب الشباب وتنميتهم في مختلف المجالات العلمية والعملية، وتسخير طاقاتهم في خدمة الأمة ورقيها.

هوامش البحث:

1- كمال التابعي، وليلى البهنساوي، مقدمة في علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستشارات،القاهرة،2007،ص141.
2- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق،عمان،2006،ص39.
3- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط،ط2،مجمع اللغة العربية،القاهرة،1979م،ص768.
4- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، القاهرة ، دار الكتاب المصري،1987م،ص268.

5-محمد عبدالقادر الشيباني، القيم والعادات الاجتماعية في المجتمع الليبي،ط1،المؤسسة العامة للثقافة،طرابلس،2009م،ص25.
6- نفس المرجع السابق،ص25.
7- عثمان علي سالم أميمن، المرجع في علم النفس الاجتماعي، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2007م ،ص232.
8- العقبى الأزهر، القيم الاجتماعية والثقافية المحلية وأثرها على السلوك التنظيمي،(أطروحة دكتوراه غير منشورة)،جامعة قسطنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2009م،ص26.
9- ماجد الزيود، مرجع سبق ذكره،ص25.
10- عثمان علي سالم أميمن، مرجع سبق ذكره،ص233،234.
11- نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1962،ص19.
12- مثيب بن محمد بن عبدالله البقمي، إسهام الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب،(رسالة ماجستير غير منشورة)،جامعة أم القرى، كلية التربية،2009م،ص39-42.
13- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار العلم،بيروت،د.ت،ص244.
14- ابن منظور، لسان العرب،ط3،دار إحياء التراث،بيروت،1992م،ص357.
15- ظريف عبدالرحمن، الفيسبوك وتأثيره على القيم الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين،(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،2017م،ص69-71.
16- السعيد بومعيزة ،أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب،(أطروحة دكتوراه غير منشورة)جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام،2006م،ص177.
17- عمر محمد التومي الشيباني، الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، الجامعة المفتوحة،طرابلس،1987،ص54-56.
18- يزيد عباسي، مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر،(أطروحة دكتوراه غير منشورة)،جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2016م،ص106-109.
19- أحمد مختار عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،ط1،ج1،2008،ص586.
20- عبداللطيف كداي، التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي، مجلة كلية علوم التربية،المغرب،ع7،2015،ص79.
21- عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة العربية،القاهرة،ج1،1979،ص22.
22- محمد الغالي، دور المؤسسة التربوية والتعليمية في عملية غرس القيم، مجلة شؤون اجتماعية، الإمارات العربية المتحدة،ع95،2007،ص139.
23- تريكي حسان، ملامح التحول في قيم العمل في المجتمع الجزائري "دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية،ع2،مج10،2017،ص209.
24- محمد العليوان، القيم والأعراف "قراءة في التحولات الاجتماعية"، دار الواحة،بيروت،ط1،2003،ص11.
25- عبداللطيف كداي، مرجع سبق ذكره،ص82،83.
26- نورهان منير حسن فهمي، القيم الاجتماعية والشباب من منظور ديني، دار الفتح،2008م،ص92.
27- ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها،ط2،دار المسيرة،عمان،2006،ص17.
28- محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية،بيروت،1985،ص30.

29- مهدي محمد القصاص، الإعلام الالكتروني وأثره على قيم الشباب في القرية المصرية "دراسة حالة"، مجلة دراسات اجتماعية لمشكلات الواقع المصري، كلية الآداب، جامعة المنصورة،مج2،2016،ص605.
30- ضريف عبدالرحمن، مرجع سبق ذكره،ص1.
31- فتحي السيسي، الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الشباب الجامعي ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها، المؤتمر العالمي السنوي للخدمة الاجتماعية ،جامعة حلوان،2002،ص452.
32- مهدي محمد القصاص، مرجع سبق ذكره،ص598.